

# خصائص المدن العربية الإسلامية

سیناء صالح مهدي

Sena Salih Mahdi



تختلف المدن العربية الإسلامية عن غيرها من مدن العالم الأخرى من حيث بناؤها وتكوينها في مؤسساتها ومفاهيمها ومن ثم اندرج هذا الاختلاف في تنظيماتها السياسية واهتماماتها الثقافية وفعاليتها الاقتصادية وتراكيبها الاجتماعية، ويأتي هذا الاختلاف من أن جميع نواحي الحياة فيها مرتبطة بحدود الدين الإسلامي منهاجا وتطبيقا.

ذلك أن المدينة الإسلامية تضع حدود الإسلام وشرعه مثلا أعلى لها من حيث الانصياع لحكم الحاكم، وتنظيم سلوك الأفراد، وتقيس صحة المعاملات والعلاقات البشرية بما في ذلك معاملة العبيد، بل تقيس ارتفاع البناء وعرض الشارع ومعايير الحي السكني وللمدينة الإسلامية في كل هذا حكم مرجعي أنزل في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠] وفصل في عمل الرسول الأكرم ﷺ وأقواله كما في الحديث الشريف (من اخاف اهل المدينة اخافة الله عز وجل، وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا). (عن السائب بن خالد رضي الله عنه) وسار عليه الصحابة من بعده.

والمدينة الإسلامية لقاء بين الزمان والمكان فالمكان لقاء بين الطبيعة والفكر، بين المساحة والتصوير، بين الامتداد والرؤية وحيث أن الإنسان سيد البيئته وخليفة الله في الأرض يتحدد اختيار المكان طبقا لهذا الإطار، وقد برع العرب في اختيار المكان الملائم لمدينتهم حيث يتمشى مع منهج

## الخلاصة

تهدف الدراسة الى التعرف على طبيعة هندسة بناء المدن العربية الإسلامية من حيث تصاميم الشوارع وبناء المساكن والمساجد والاختلاف فيما بينها نتيجة لعدة عوامل ومنها تأثيرات البلدان المحيطة بها وتميزت التصاميم بجماليتها من حيث العمارة والتصاميم الفنية المتميزة والتي استثمرت لفترات طويلة من قبل العرب المسلمين وغيرهم.

### Abstract:

This study aims to recognize Islamic Arabian cites design and building regarding streets, housing and mosque and architecture.

It considered the differences arising from influencing factors and surrounding areas. The designs in general have been known for excellence of architecture and distinguished technical properties. These characteristics have long been invested by Arabs and Muslims.

\* \* \*

دينهم الحنيف، من حيث توفر الأمن والدفاع عنها ضد الأخطار الخارجية، وتوفر الأسس الصحيحة والاعتبارات الاجتماعية والمقومات الاقتصادية، وقد اقتبس المسلمين غير العرب فن العمارة والبناء والزخرفة الإسلامية من العرب المسلمين كما هو في مدن قرطبة و غرناطة و اشبيلية في اسبانيا.

أما من حيث العمران فإننا نجد أن المسلمين قد اعتادوا بناء المسجد في وسط المدينة ويقع السوق بالقرب منه الذي يمثل ملتقى للتجار وذوي الحرف، وفيه تعقد المعاملات التجارية، وتحيط المناطق السكنية بالسوق عادة، وترتبط به بوساطة الشوارع الرئيسية التي غالباً ما تكون أوسع من الأزقة الملتوية والضيقة داخلها، وقد اتسم العمران بكثرة المنازل وضيق الدروب واكتظاظها بالناس وبالباعة وأصحاب الحرف.

وتميزت خطط توزيع المحلات السكنية والأسواق والشوارع في المدينة العربية الإسلامية بالانسجام مع خطة المدينة الرئيسية التي غلب عليها الشكل الدائري الذي يتماشى مع خطة الفكر العربي الإسلامي، ومن المدن الدائرية الخطة: الكوفة والبصرة وبغداد والحضر في العراق، أما مدن المغرب العربي ومصر فقد استعملت الخطة المربعة في تخطيط مدنها كالمدين المراكشية والقاهرة القديمة التي بناها الفاطميون.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض مدن الجزيرة العربية مثل جدة ومكة المكرمة يقل فيها وجود الأزقة غير السالكة، كما تتخللها شوارع مستقيمة تتقاطع بزوايا قائمة، ويعود ذلك إلى أن تلك المدن تأثرت بالعالم الخارجي وبخاصة أقطار المحيط الهندي، ولذلك غلبت عليها تأثيرات ما قبل الحضارة الإسلامية.

وبغض النظر عما آلت إليه المدينة العربية الإسلامية من خصائص المجتمع الحضري نالت المنشآت الدينية في المدن العربية اهتماماً بالغاً وقدسية كبيرة متمثلة بالمساجد وقبور الأولياء الصالحين، فقد كانت هذه المراكز محلاً للمسلمين في إقامة شعائهم الدينية كالصلاة وتدریس العلوم الإسلامية وتعليم القراءة والكتابة، ومركزاً للاجتماعات العامة، سواء في الأعياد الدينية أو المناسبات الاجتماعية.

وضمن إطار القيم الدينية التي كانت مفروضة فرضاً في مجتمع المدينة المسلم ويتصرف بموجبها كل فرد من أفرادها، والتي يبرز لنا، إلى حد بعيد، المؤثرات الإسلامية في المجتمعات الحضرية، يمكن أن نشير إلى بعض المبادئ والقيم التي أضحت بمنزلة خصائص ثابتة في المجتمع الحضري العربي مثل: تكريم الإنسان بوصفه أنساناً، وإشاعة العدل بين الناس، ورفض الظلم، والحرية المسؤولة، والمساواة بين البشر، والسماحة الفكرية والاجتماعية، وتقديس العمل والمسؤولية عنه، واحترام الأسرة، والتكافل الاجتماعي، ومع الجشع الاستثماري، والمسؤولية الاجتماعية عن المصالح العامة، وضرورة الاستثمار الإنتاجي، ومنع الاحتكار، ومسؤولية الدولة عن أعمال النفع العام، ورفض

الأمية، والمطالبة بالعلم، وطلب الحكمة، والدعوة لتفكير في الطبيعة وأسرارها، وفي الذات الإنسانية. أما الجانب التطبيقي لهذه القيم فقد تمثلت بمؤسسات الوقف ورعاية الأيتام وتعليمهم، ورعاية الفقراء والمعدمين، والأغراب، وذوي العاهات، ومعالجة المرضى جسميا ونفسيا، وتوفير مياه السبيل، والرقابة الصحية اللازمة على مصادر المياه والحمامات العامة.

وثمة حقيقة مهمة تتمثل في أن البنية الاجتماعية على الرغم من طابعها الإسلامي الواضح كانت متأثرة بالتكوينات الاجتماعية الأولى، التي ورثها العرب الفاتحون عن الدول السابقة، فهي إسلامية قبطية في مصر، وإسلامية بربرية في المغرب، وبربرية عربية قوطية وإيبيرية في الأندلس، هذا فضلا عن الخصائص الاجتماعية الأخرى ذات الارتباط الوثيق بالدين الإسلامي كالمجالس الدينية والاحتفالات بصلاة الجمعة، ومجلس القصاص والمذكرين، ومجالس الوعظ والإرشاد والدعوة، ومجالس القضاء والاحتساب، وتكريم العلماء والاهتمام بهم.

وقبل الانتهاء من هذه الصفحة لابد من الإشارة إلى أن العهد الإسلامي كان العهد الذهبي لبناء المدن الاقتصادية وهيمنتها الذي ارتكز على عدة عوامل؛ منها السيطرة التامة على الريف والتجمع الحر في المدن، وتنظيمات العمل، والمدارس المذهبية، وقوة النقد الإسلامي، ونشاط التبادل التجاري، فضلا عن توفير جميع الخدمات اللازمة

للتنشيط الاقتصادي. • مثال على المدن العربية الإسلامية ( سامراء ): تعتبر سامراء من المدن العربية الإسلامية وتتميز بالخصائص المعمارية المهمة، وكانت تسمى قديما ( سر من رأى ). تقع مدينة سامراء شمال العاصمة مدينة بغداد على بعد ١٢٥ كم ويبلغ عدد سكانها أكثر من ١٩٠ الف نسمة (حسب احصائيات وزارة التخطيط عام ٢٠١٣)، وتقع شرق شرق نهر دجلة ضمن محافظة صلاح الدين. وكانت عاصمة الدولة العباسية وقد بناها الخليفة المعتصم بالله عام ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م لتكون عاصمة لدولته. تمتاز المدينة بوجود عدد كبير من المواقع الأثرية والمعالم الحضرية وبرزها جامع مأذنة الملوية وقصر العاشق وجامع ابي دلف وسور اشناس و القصر الجعفري ومدينة المتوكلية وسور سامراء الذي له ١٩ برجاً و ٤ ابواب كما توجد اثار مسيحية و يهودية، ومعظم هذه الاثار شاخصة لوقتنا الحالي.

\* \* \*

## خريطة توضح موقع مدينة سامراء



## جامع مأذنة الملوية في مدينة سامراء

